قال الامام رضي الله عنه وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم راى رجلا يعبث في صلاته
بلحيته فقال لو خشع قلبه هذا لخشعت جوارحه قال الشارح رضي الله عنه فدل ذلك على ان خشوع
الجوارح يتبع خشوع القلب وان القايل لم يرد ان خاشعا بظاهره الخشوع هاهنا واشار الى قلبه
كانه اراد به لم يكن قلبه متمكنا لهيبة الخشوع قال الامام رضي الله عنه وقيل من شرط الخشوع في الصلاة
ان لا يعرف من على يمينه ومن على شماله قال الشارح رضي الله عنه ومراده بالخشوع هاهنا
كمال الحضور والاستغراق في المناجات وفهم ما يتلوه او ما يسمعه حتى يشتغل قلبه بكليته فلا
يحس بمن عن يمينه وشماله وهذا امر زايد على الخشوع الذي هو الهدو والسكون في الصلاة والسلامة
من الافعال المناقضة ومن كمل حضور قلبه في صلاته ومناجاته لربه حسن منه ان يقول السلام
عليكم لمن عن يمينه وشماله لانه كان غايبا قدم علينا والان هو حاضر بين يدي الله وقلبه مستغرق
فيما يحبه ويهواه فلم يغب عن نفسه ولا عمن يجالسه فهو حاضر معهم لم يغب قال الامام رضي الله
عنه ويحتمل ان يقال الخشوع اطراق السريره بشرط الادب بمشهد الحق ويقال الخشوع ذبول
يرد على القلب عند اطلاع الرب او يقال الخشوع ذوبان القلب وانخناسه عند سلطان الحقيقة
او يقال الخشوع مقدمات غلبات الهيبه او يقال الخشوع قشعريره ترد على القلب بغتة عند
مناجاة كشف الحقيقة قال الشارح رضي الله عنه وكل ما ذكره الامام من هذه الحدود تجمعها
تغير القلب وتذلله وهو المعبر عنه بالذبول او الذوبان كل ذلك اذا استشعر نظر الحق اليه وغشيته
هيبته وتعظيمه حتى لم يبق فيه وسع لغير ما هو فيه فهذه الحالة هي التي عبر عنها بالخشوع
وهي اعلى مراتب الخاشعين فان العبد قد ينكشف عن الاخلال بالواجبات وارتكاب المحرمات
خوفا ويكون عنده بعض خشوع وقد يكون عند الجد في عمله الاوقات بانواع المندوبات
ويكون قلبه مشغولا بذلك مخلصا لله فيه ذاكرا لقصده الله عالما او معتقدا انظار الله
اليه فيكون خاشعا وقد يكون في احواله الشريفة مع مولاه ناظرا بها في الكل درجات كسبه وتقواه
الى ما افضل ربه عليه واعانته له متبريا من دعواه ويكون خاشعا فالذي اشار الامام اليه
في الاقوال اعلى مراتب الخاشعين وهم العارفون الذين يرد على قلوبهم من هيبة الله تعالى واجلاله
وتعظيمه ما يذهلهم عن غيره ويصطلمهم حتى لا يبقى لهم احساس ولا مشاهدة لغيره قال الامام
رضي الله عنه وقال الفضيل بن عياض كان يكره ان يرى الرجل من الخشوع اكثر مما في قلبه
قال الشارح رضي الله عنه وهذا والله اعلم اشارة الى كتم الاحوال الغالبة على القلوب
حتى تظهر الجوارح فاذا انفصل الانسان عن الحال يكلف ان يتمثل بظاهره او يتمادى في تباكيه
او غشيانه او صياحه او بكايه مع تمكنه من رد نفسه عن ذلك وقوته على ستره والاخفى كالاظهر
عما اعتراه في قلبه وانه ذلك في جوارحه وعجز عن مسكه فلا يصح ان يقال فيه كان يكرهه لانهم
لا يكرهون الا ما يمكن دفعه وهذا احسنه مع الصدق بالقلب والبدن واما تعاطي ذلك في غير الصدق فمحرم
ان

ان اراد بقوله يكره التخرع ذلك لاحد قسمين اما ان يكون مرايا او متشبعا بما لم ينل كاذبا كما قال صلى
الله عليه وسلم المتشبع بما لم ينل كلابس ثوبي زور قال الامام رضي الله عنه وقال ابو سليمان الداراني
لو اجتمع الناس ان يضعوني كاتضاعي عند نفسي لما قدروا عليه قال الشارح رضي الله عنه
ومخرج هذا من ابي سليمان انما يكون لمن يقتدي به ويعرفه هذه الحالة الشريفة في التواضع
مع الكمال فان من كمل في صفات الخير من العلم والعمل والحال وهو في تواضعه كما وصفه في حالة
شريفة فلا يظهرها احد من العمال الا لمن يقتدي به في حاله وينتفع بذلك في طلب كمال الاحوال
قال الامام رضي الله عنه وقيل من لم يتضع عند نفسه لم يرتفع عند غيره قال الشارح رضي الله
عنه وذلك لاحد امرين احدهما ان من لم يتضع لم يعرف قدر نفسه وربما ظهر منه الكبر على الناس
واذا اظهر الكبر على الناس مع الافلاس من خصال الكمال نزل قدره عندهم في الحال والوجه الثاني
ان التواضع لله من اشرف الاخلاق فاذا اظهر التواضع مع الاتصاف بافضل الخلال الدين من العلم
والعمل والتنزه عن ذميم الاخلاق والتخلق باشرفها عند الله ومع ذلك يكون الرجل متواضعا
مع كماله رفعه الله بحسن نيته واطلع الخلق على حسن سريرته فنشروه وعظموه وهذا المعهود
المعروف من اهل الدين والفضل والتواضع من غير جهد امع نزاهة النفس والاتصاف بكمل
الاعمال والاحوال قال الامام رضي الله عنه وكان عمر بن عبد العزيز رحمه الله لا يسجد الا على
التراب قال الشارح رضي الله عنه وهذا يدل على كمال تواضعه لربه وهوانه باخذ ارفع ما
فيه وهو وجهه بوضعه في التراب تذللا لربه ورجا القبول عمله والعفو عن خطاياه
وزلاته ومن ذلك ما روي ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه بعد ان طعن وهو في حال الفراق
كانت راسه على ورك ولده عبد الله فقال له عمر ضع راسي الارض فقال وما عليك يا ابة
ان يكون راسك على وركي او في الارض فزجره ثم قال ضع راسي بالارض لا ام لك في الثانية او في الثالثة
فوضعها وهو يقول ويلي وويل امي ان لم يغفر الله لي حتى فاضت عينه قال الامام رضي الله
انا علي بن احمد الاهوازي قال حدثنا احمد بن عبيد البصري ثنا ابراهيم بن عبد الله قال ثنا ابو الحسن
عن علي ابن يزيد الفرايضي قال حدثنا محمد بن كثير وهو المصيصي عن هارون بن حيان
عن خصيف عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لا يدخل الجنة مثقال حبة من خردل من كبر قال مجاهد لما اغرق الله سبحانه قوم نوح
شمخت الجبال وتواضع الجودي فجعله الله سبحانه قرارا السفينة نوح عليه السلام
قال الشارح رضي الله عنه وما ذكره في قصة الجودي دليل على ان من تواضع
رفعه الله فلما لم ير الجبل نفسه اهلا لحلول النبي والمومنين عليه اعطاه الله المنزلة
وشمخت الجبال اي تعالت وتواضع الجودي اي قصر حجمه الارض وهل هو كان بحر ان
يخلق في الجماد او هو الحديث الذي قبل هذه الحكاية فقد تقدم الكلام عليه وتاويله

Copyright © King Saud University